المنطلق الإسلامي في ديوان ابن سهل الأندلسي

د. سلمى سلمان علي
معهد الفنون الجميلة للبنين

المقدمة

لم يقتصر البحث على المنهج الوصفي، أو الاطار النظري، بل ربط بالسلوك الاسلامي فلكل صورة اثرها السلوكي، وجانبها التطبيقي في واقع الحياة، بعد تدبرنا ديوان ابن سهل الاشبيلي الاندلسي، وغورنا في سلوكة الشخصي مع تلك الروح الغامرة التي سرت في كيانه بعد اسلامة وسموه عن واقع الانسان المضطرب الى الإطمئنان والثقة، ويمكن ان يقال ان الحصانه الإيمانية في قلب الشاعر، جعلته اكثر عظمة واعطته قدراً، ناهيك عن الثقافة الفكرية والادبية الاسلامية التي تمتع بها.

وهذه القضيّة قلما نصادفها في تأريخنا الادبي الاندلسي وهي قضية تحتاج في معالجتها الى كثير من التروي والحذر بدءاً من الشك الذي احاط اسلامه، والذي يحثنا علية معاصرية وبعض الباحثين، وقد تمّ البحث عن مقدمة وتمهيد، إشتمل على نبذة موجزة عن حياة ابن سهل الاندلسي تناولنا في البحث الاول: المنطلق الاعتقادي مقتصرا على تقديس النص الادبي والنبوي.

اما المبحث الثاني فجاء المنطلق الإيماني التعبدي تفصيلاً عن التقوى واليقين، واشتمل المبحث الثالث على المنطلق الروحي للفرائض الاسلامية إضافة الى القضاء والقدر، واليوم الاخر وكان المبحث الرابع منطلقات ايمانية أُخر ثم انتهى البحث بخاتمة المسك شملت اهم نتائجة واعقبتها بقائمة المصادر والمراجع المعتمدة على ديوان الشاعر.

التمهيد

نبذة موجزة عن حياة الشاعر:

ولد ابراهيم من سهل في عام العقاب[1] سنة 609هـ او قبله بقليل او بعده بقليل[2]. ولا خلاف في ان والد ابراهيم كان من يهود اشبيلة واسمه سهل[3] وانفرد الافراني بذكر نسبه

(ابراهيم بن ابي العيش بن سهل)[4] جعلا سهلا (جد ابراهيم) ولكن الأرجح ان كلمة (بن) الثانية دخيلة، وان ابا العيش هي الكنية التي عُرف بها ابوه، بحيث تقرا ابراهيم بن ابي العيش سهل، وبذلك يتفق الافراني مع سائر المصادر، وسماه ابو حيان، ابراهيم بن سهل الاشبيلي الإسلامي[5] وكناه ابن سعيد بابي اسحاق ابراهيم بن سهل.

نشأ في اشبيلية[6] وحصل الثقافة العربية الاسلامية التي كانت تهيئتها مساجدها، وربما هيأت تلك الحلقات العلمية التعرف على شخصيات معروفة وعقد صلات معها، منهم الهيثمي الشاعر الكبير، وابن البناء، والفقيه ابو عبد الله الخيال، الذي رَحبَّ بمقْدَمهِ الى اشبيلية قائلاً[7]:

عندي يدٌ غرّاءُ اهدتها السُّرى بأغرَّ اهدى قُربُه الآمالا
سفرت له بكرُ الخطوب بوجهها فاستحسن الظلماء فيها خالا

ولم يكمل عام (641هـ) في اشبيلية حتى ارتحل عنها الى جزيرة مترقة وقد صوّر الشاعر فراقة الذي حرّم به رؤية اشبيلية.

اذا متا سَرَى نفسي في الشّراع اعادَهُم نحو حمص زفيري[8]

وقد اصبحت مترقة في زمن ابن سهل من أهم مراكز العلم والادب لتردد تجار الكتب، من مسلمين ونصارى يحملون اليها نفائس المخطوطات. ثم سكن سبته بالمغرب الاقصى، وكان العهد السبتي اخصب فترات حياته الذي امتد من سنة (642-645هـ).

وقد نظم قصيدة ناطقة على حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واشتياقه الى قبره بيثرب تعبيراً عن مشاعره الدينية بعد اعتناقة للإسلام[8] وهذه العينة الحجازية مطلعها[9].

تُنازعني الآمال كهلا ويافعاً ويُسعدُني التعليلُ لو كان نافعاً

فهو شاعر ذو ذاكرة قويّة جمّاعه، درس القران والآداب العربية واللغة والنحو، ولم يوازية احد من اهل عصرة في مكنته وانطباعه في الشعر واقتداره، اديب ماهر، دوّن شعرة في مجلد[10].

توفى غريقاً حين سافر في غراب سبتي اسمه (الميمون)، ولكن الخلاف يدور حول العام الذي توفي فيه، فبعضهم يجعل تاريخ وفاته 646هـ. هذا ما اقره ابن الأبار[11] ومنهم من يرى سنة 649هـ[12] ويرجح محقق الديوان د. احسان عباس 659هـ سنه لوفاة الشاعر بعد مناقشة مستفيضة.

المبحث الاول

المنطلق الأعتقادي:

كان ابن سهل الاندلسي يهودياً، فاسلم، وقرأ مع المسلمين وخالطهم[13] وانخرط مع مسلمي مجتمعه الاندلسي بإدارتيه السياسيّة والدينيّة، موجهاً الخطاب الاسلامي والثقافة العربية الاسلامية التي هيمنت على شعره ومنحته الرصانة الفكرية، وانطلاقا من المكانة المقدسة قال تعالى: ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ))[14] فقد ذكر الشاعر الله عز وجل، بعد ايمانه بربه آملاً ان يكون الله معه في آخرته، لما هو قريب منه في دينه، مستنكراً ان يعود الى الشرك والضلاله بعد الهداية قائلاً[15]:

وقالوا: **اسلُ عنه أو تبدّلْ به هـــــوى أبعُـدَ الهُـدى ارض الجُـحـودَ او الشّركا**

وقد وَجَدَ أكثر من ثلاثين[16] موضعاً في قصائد الحب ومقطعاته فيه اشارة الى تلك المعاني الدينية، من مثل قوله[17]:

كتبَ الشعرُ فيــه سيناً فعّــوذ تُ بـيـاسين حُـسـنَ تلـك السيّـن

وقوله مشيراً الى قصة يوسف (عليه السلام)[18]:

أكبروهُ ولـــم تُقَـطّـــعْ أكفٌ بمـــدىً بل قلـــوبَهُـم بجـــفـــوُن

وقولـــه[19]:

لقد كنت ارجو ان تكون مواصلي فاسقيتني بالبعد فاتحه الرعـــد

فبا لله يرد ما بقلبي من الجـــوى بفاتحة الأعراف من ريقك الشَهِد

ويتمسك الشاعر بقصة موسى (عليه السلام) حتى يستنفذ كل ما فيها من احداث وايماءات من ذلك قوله[20]:

مَراضعُ موسى او وصالُ سمَيّه نَظيرانِ في التّحريم يَشتَبهان

مشيراً الى الآية الكريمة ((وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ))[21].

وقوله:

ما ضرّ موسَى لو يشقّ مدامعي بحراً ليغرقَ عاذلي ورقيبه[22]

وفيه تضمين لقصة موسى، وشقه البحر بعصا، فقد كنى بالأنوار التي هي في قوة الحكمة الموسوية فهي الخير المحض اذ هي للذات المطلقة وقد ظن بعض الباحثين[23] شخصية موسى

رمزا للتعبير عن مشاعر دينية صوفية او قومية، وهذه الشخصية في نظر الافراني[24] هو نبي الله موسى عليه السلام .

وكان الذوق الجمالي في اشبيلية حينئذ قد اخذ يلتفت الى جمال الغلمان اكثر من التفاتــه الى جمال المراة او لعل هذه الصورة من تحيّز ذوق ابن سعيد المؤرخ الادبي لتلك الفتــرة[25]، بينما برّرَ الشاعر اسلامه واعراضة عن الدين القديم مشيرا الى معارف ربانية، وأنوار إلهيّــة بلسان الغزل والتشبيب لتتوفر الدواعي على الاصغاء اليها، وهو لسان كــل اديــب ظريــف وروحاني لطيف[26].

وهكذا بدا اسلامه حقيقة مسلمّة لقوله[27]:

تَسليّتُ عن موسى بحبّ محمدٍ هديتُ ولولا الله ما كنتُ اهتدي

وما عَنّ قِلى قد كان تلك وإنما شريعةُ مُوسى عُطِلتْ بمحمــدِ

كما أكدّ اسلامه ابو حيان الجيّاني، وقاضي القضاة ابو بكر محمد بن ابي نصر[28] ونقل البلوي[29] عن ابي العباس الانصاري عن مالك بن المرحل انه أسلم وحسن اسلامه، ولازمــت الجماعه صلواته ولزم القراءة واشتغل بها. وقال ابن شاكر الكتبي انه اسلم وقــرا القــران[30]، بينما ذكر ابو الحسن الخزرجي[31] انه اسلم ومدح النبي (صلى الله عليه واله وســلم) بقــصيدة بديعة.

وهناك مسألة أخرى تثير الجدل، وتتعلق بمدى صحة اسلام ابن ســهل ونبــذه لــدين اليهودية، في هذا الصدد يذكر ان سعيد، انه سأله عن هذا الامر فأجابه: (للناس ما ظهــر ولله ما استتر)[32]، فالسرائر لا يعلم بها الاّ الله سبحانه وتعالى، والذي يعنينا ان ابن سهل كان مسلما مؤمنا، فالأرادة الالهية في جوابه، سلوكه عقائديا سليماً تمثل في عقله الاسلامي الداعي.

ولعل اصل العبادة محبه الله، بل افرادة بالمحبة وان يكون الحب كله له فلا يحب معــه سواء، وانما يحب لاجله وفيه[33] ويبدو ان ابن سهل الاشبيلي الاندلسي- اجهر إســلامه ولــم يخفه، ويؤيد ذلك رأي القائل (دسّ الفلاحُ الحبّ في التُراب، اذا اخفاه وغطاه بالتراب، لذا سمي غير المؤمن بالكافر لأنه يدس عقيدة الايمان فيخفيها ويغطيها بادعاءات كاذبه)[34].

ومع انتقاء الدافع الفطري، لكون الفطرة غير سليمة فقد تغلب الدافع العقلي فاسلم الشاعر عن وعي وادراك، وليس مجرد شعور فطري، بسبب العقل الموضوعي المحايد، وكان كثيــر التامل في اي ذكر الحكيم. وبالاحرى بعد اسلامة كان تأثير القران عليه عظيما مستغلاً قصص الانبياء في ابراز معاني حبه في المناجاة[35].

واناجي الاله من فرط حبي كمناجاة عبده زكريـــــا
وهن العظم بالبعاد فهب لي رب بالقرب من لدنك وليّا
واستجب سيدي دعائي فاني لم اكن بدعاك رب شقيّـا

منطلقاً من حصار اشبيلية من صدق العقيدة للجهاد واستنهاض الهمم[36].

الدين ناداكم وفوق سروجكم غوث الصريخ وبغية المستنصر
لم يبق للاسلام غير بقيّـــة قد وطنت للحـادث المستنكـــر

ونَصَر العرب الدين الاسلامي عند نشأته، وقد اصبح هذا الدين بحاجـة الـى نـصرة جديدة نجد قصيدة له[37]:

اضحى الهدى يَشْكو الظما ولأنتمُ ظلٌ وريّ كالرّبيع الممطرِ
وعلا الجزيرة غَيهبٌ وغمودكم مطويّة فوقَ الصباح المسفرِ

وهذه الحقائق العلوية للبشر قائمة على العبادة، التي موطنها كعبة القلب فحـين حـصل الشاعر من العلوم الموسوية العبرانية جعل قلبه ألواحا لها، ولما شرب من المعارف المحمدية الكمالية جعلها مصحفا واقامها مقام القرآن لما حصل له من مقام اوتيت جوامع الكلم[38]، فالعقل الانساني قادر على معرفة الله، يستعمل الاستدلال طريقا للايمان[39] وبلوغ السعادة القصوى[40].

ولم نجد في شعر ابن سهل رأيا واحدا لا يتفق منطقيا مع تعاليم الاسلام، وانما هو تطويع المجتمع وتطوير للمبادئ الدينية الاسلامية[41]، وربما كان نتيجة حتمية لتطابق النظام السياسي مع متطلبات الشريعة الاسلامية ومن هنا نستبعد الشبهات حول حقيقـة عقيدتـه، ونقـف مـع المؤيدين له فان صحت عقيدته ام لم تصح؟ فان الدين عند الله الاسـلام. ويقـول ابـن حـزم الظاهري (لا اسلام لمن يعتقده عن طريق الاستدلال)[42].

وهكذا تدبّر ابن سهل القران وفهم معانيه بروحانية ذاتية عالية، من مقام التجريد والتنزيه منطلقا من العقيدة الصادقة، فالله خالق الايمان في قلوب المؤمنين فمن خلق الله تعالى الايمـان في قلبه ولسانه فهو مؤمن صحيح الايمان.

سواء خلقة في قلبه ولسانه دون إستدلال أو خلقه بأستدلال[43]، ولكي ندعم وجهة نظرنـا فيما قررناه ونرد على مزاعم الباحثين، فحبه عقائدي وايماني يذكر خلال شعره كثيـرا مـن الآيات القرانية، فهو تجلى بالمعتقد، ثابت العقيدة وصادق المعتقد.

تقديس النص الالهي والنبوي

ما انعم الله على العباد نعمه افضل من ان عرّفهم لا إله إلاّ الله، قبل وان لا إلـــه إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا[44] فالفاضل يسرّ لمعرفته بمقدار ما منحه الله تعـــالى[45]. أمـــا الرسول فلا تجب طاعته الا بعد معرفة الله ضرورة، فمعرفة الله مقدمه على معرفة رُسلِه[46]. مع ان ظواهر الشريعة دلت على لزوم المعرفة والعلم.

وقد برز ابن سهل في السياق الشعري في معنـــى قولـــه تعـــالى: ((إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ))[47] حين قال[48]:

إنّ الإله قد اشترى أرواحكم بيعوا وبهنئكم ثوابُ المُشتري

لقد استغل الشاعر عقله آمن وأسلم عن وعي وبصيرة، لا عن غباء وجهل وعـــن ادراك لمعناه، المعجز. قال تعالى: ((وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا))[49] فكل ما يتطلبه الدين من الناس هو الاقرار بدعوة الاسلام تحقيقها فـــي القلـــوب)[50] وهكـــذا وجـــدنا الشاعر[51] يمدح ابا فارس بن ابي حفص لرفع راية الاسلام:

إليكَ حدا الاسلامُ رأياً ورايةً فأوسعُها عنهُ سُداداً وسُـــؤددا

وانا لنرجو من مضائك هبّةً تُعيدُ على الدّين الشبابَ المجدّدا

وفي تقديس اركان الدين ونصرته يقول[52] :

أنتُم أحقُّ بنصر دين نبيكُم وبكُم تمهّد في قَديم الأعْصُرِ

أنتُم بَنَيتُمْ ركنَهُ فلتدعموا ذاكَ البناء بكلّ ألعس أسمـــــرِ

وله في سياسة الحكم القائمة على التوحيد والرفق والعقلانية في محاربة المشركين[53].

حاربت حزبَ الشركِ عنه بالحجى والرفقُ مثلُ البطشِ يقصُم أظْهرا

ونتيجة الهداية والسلوك المستقيم لكون الله سبحانه وتعالى المطعم الكاسي[54]

فلا صرّدَ الله الشراب الذي سقى ولا خلع الله الرداء الذي كسا

وله في تقديس ساسة حكم السماء في اختيار الحكم قوله[55]

وتوّجكَ الرحمنُ تاجَ مَلاحةٍ ولهجةَ اسراق لها الصبحُ يهتدي

وفي تقديس السور القرانية والاشارة الى صفة معنويه هي القوة المتولده من (الحديـد) وارتباطها بالجنود لدلاله الشجاعة، والتحميد والشكر لله لدلاله الكرم يقول[56]:

تتلو الجنود به الحديد او الوفود سورة الحمد

ويرى ابن سهل في تقديس وتمجيد الحاكم الذي يحكم على هدي القران ظاهرة يتفق مـع العدل الالهي، كما لمسة عند الوزير ابا عمرو بن الجد حين قال[57]:

لكَ النّدى والهدى نجلُو بنورهمـا لَيْلاً من الجَهل أو ليلاً من العَدَمِ

اطلعتَ صُبْحَ الهُدى والعدلِ فامتحقا دُجَنَّةَ الفاحِمين: الظُّلْمِ والظُّلـمِ

وانطلق من سورة الفلق في قوله[58] :

ماضي الزمان عليك يحسـد حاله لازال غيظ الحاسـد المحسـود

كانطلاقه في سورة المسد حين قال[59]:

تبت يدا عاذلي فيه ووجنتـه حمالـة الورد لا حمالـه الحطب

ولقد تكيف الشاعر في مشاعره وارادته لنظام الاسلام مستندا على الأسس القرآنية بقناعة تامة وعقيدة صلبة. فالشاعر وصي على تنفيذ التخطيط الرباني الموجة لقوله تعـالى: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ))[60] حين قال مادحا ابا عثمان بن حكم[61].

يا ال اصفر حكيم للوغى شررا فهذه الشمـس تطفـي ذلك الضرما

هذا سليمان ملكا شامخا وتقى وأنتم الجن فلتضحوا له الخدمـا

انتم ثرى وهو افق الله فارتقبوا منه الصواعق ان لم تشكروا الديما

وفي تقديس النص اشارة الى الديانة المسيحية ومبدئها عقيدة التثليث المرتبطة بالعناصر الثلاثة هي (النور، الماء، الجمر).

وثلثوة فقالوا: النور مؤتلقاً والماء مطرداً والجمرَ مضطرما[62]

مؤكدا ذلك في بيت اخر[63].

وأحسبُهُمُ قد ثلثوة فإنّهم يَرَوْنَ عليه النّورَ والماءَ والجمَرا

وفي تقديس الشخصيات الدينية ك (سليمان عليه السلام)[64].

وهل ينازعكم من عزمة عَبَتٌ كالريحِ لم يُجرِها فيه سليمانُ

ولقمان من الشخصيات الدينية التي امتازت بالعقلانية وسداد الراي[65].

اذا ماحتبى في القوم او خطر اقتدى بحكمته لقمانُ او عزة كسرى

كما ذكر الشاعر الالفة الانسانية والسلوك الحسن الثابته على موازين الصفات الحميـدة، فلم يحط الاسلام من الاخلاق الانسانية الكريمة قال تعـالى: ((الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ .... أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ))[66].

وهكذا نظم قصيدته مستنجداً بها ملوك العرب بروح قوية وعاطفة وثّابه[67].

يا معشرَ العربِ الذين توارثوا شيم الحميّة اكبراً عن أكبرِ

كم ابطلوا سُنن النبي وعطلوا من حلية التوحيد ذروة منبر

اما في تقديس الحديث النبوي الشريف، يتداخل العجز مع قوله: ((انما الأعمالُ بالنيّـات ولكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته لدُنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى مـا هجـرَ اليه))[68] نجد سياقه في قوله[69]:

ايقنت انك قاتلي ومعذبي ولكلٍّ ناو في الحقيقةِ ما نوى

كما نقل ابن سهل مدلول الحديث النبوي الشريف الذي حدد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مكانه امرئ القيس بين شعراء (ذاك رجلٌ مذكور في الدنيا شريف فيها منسيٌّ في الاخرة خامل فيها يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء الى النار)[70] الى البيتين اللذين قالهما في ابن القصير:

أيا متطفلا في الشعر يَـبدو على وَجَناته طفل المساء

إذا الضليل يوم الحشر وافى فلست بداخل تحتَ اللواءِ

وقولهُ في تقديس النبي وآل بيته الطيبيين الطاهرين[71].

ونطيت أماني أهل دين محمـدٍ بذي سير تُرضِي النبي محمدا

حباكم أمير الهدى من أهل بيته بادناهُمُ قربى وابعدهم مدى

وفي تقديس العشير والحَسَبُ مشيراً الى موطن سيد المرسلين مـدح أبـا عثمـان صـاحب ميروقة[72].

ملكٌ تسنمَ من قريش ذروةً من أجلّها تدعي الأعالي بالذّرى

حَسَبٌ يجرُّ على المجرَّة ذيلَهُ ومناقـبُ تـذرُ الثريّـا كالثّرى

كما اشار في مدحه لابي علي الحسن بن خادم، لسر الهداية ووحدة الفكـر الاسـلامي وباشراقة ازال الرجس وظهر النفس[73].

هو بينكم سرّ الهدى لكنه لجلالـه السـر الـذي يستـرا

اغناكم وأزال رجساً عنكم كالغيث اخصبَ حيثُ حلّ وطهّرا

وفي تقديسه (لراية الرسول الكريم) حين مدح الوزير أبا عليب بن خلاص[74]:

لئن لقبوها بالعقاب فإنّها قد اتخذت قلب العدو لها وكرا

لقد أصر الشاعر على نصرة الاسلام والدين ومحبة الله ورسوله، وعلى القيم الانسانية في المناجاة وذكر النبي الكريم وهي نظرة واضحة جليّة في اثبات حقيقتها المقدسة قائلاً[75]:

تكادُ مناجاةُ النبيّ محمـــد تنــمُّ بها مسكاً على الشمّ ذائقاً

تخالهم النبتَ الهشيم تغيّرا وقد فتقوا، وضاً من الذكر يانعاً

وهكذا تمثل إيمانه بحضوره في النص الشعري، أفكاراً ومنطلقاً، وحوادث ومعتقدات دينية ممثلة الجانب الأكبر هيمنة على شعره، مندمجاً مع مجتمعه العربي الاسلامي، فازدحمت نصوص الديوان بتراكيب قرآنية ومعاني للأحاديث النبوية الشريفة والسنّة.

المبحث الثاني

المنطلق الايماني التعبدي

التقوى:-

التقوى إصطلاحاً: الشعور بالمسؤولية، ومعرفة الواجب والحرص عليه، وهداية العمل[76]. والتقوى لغةً: معنى جامع لكل خير، والعمل بطاعة الله على نور منه ومخافة عقابه.[77] والحيطة والحذر وتجنب الضرر، وابتعاد المسلم عن كل مايلحق به المضرّة والأذى. وفي المعنى الاسلامي[78]: أن يكون المسلم على يقين في أنه محاسب بين يدي خالقه عن كل ما يصدر عنه، من سلوك فينتهي عمّا نهى الله عنه، ويأمر بما أمر الله به على اعتبار كامل من نفسه ورضا تام عنه. والتقوى في نظر ابن قيم الجوزية (لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان فيزيله عن مملكته)[79].

ويبدو الشاعر مدركاً للهداية الصحيحة، موجهاً النفس للخير. قال تعالى: ((فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ))[80]. فهو واعٍ مثقف لهدايته.

فيا لله بَرّدْ ما بقلبي من الجوى بفاتحة الأعراف من ريقكَ الشّهدِ[81]

كما أدرك ابن سهل أن التقوى هي الأساس التي يقوم عليه التوجه السليم قال تعالى: ((إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ))[82].

يُمثّلُ لي نَهجَ الصّراطِ بوعده رَشاً جنّةُ الفردوسِ في طيّ بُردهِ

لقد أنكر الشاعر فطرته التي لمحّ بها بمقلته معتنقاً الاسلام.

كما ورد في الذكر الحكيم. ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا))[83].

وقال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ((كُلُّ مولود يُولد على الفطرةْ فأبواهُ يُهودانهُ. أو ينصرانهِ أو يمجسّانهُ))[84]. لذا نطق الشاعر بلسانه قائلاً[85]:

يُسائلني: من أيّ دينٍ مُداعباً وشملُ اعتقادي في هواهُ مُبدّدُ

فؤادي حنيفيٌّ ولكنّ مُقلتـــي مجوسيّةٌ من خدّه النار تعبد

من هنا نستبعد راي من شك في إسلامه، على اعتبار الاسلام فطرة، ولم يفطر ابن سهل على الاسلام منعكساً بقوله تعالى:((وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ))[86]. مادحاً الوزير أبـا علي بن خلاص[87]:

ما فيه من غير التقى رَهَبٌ ولا فيه لغير الجود شيمةٌ مُســـــرِفِ

ناضلْ بسيفِ الله أوْ بكتابـــــهِ واشبعْ بظهر الطرْفِ بطنْ المَصحفِ

وكثيراً ما ارتبطت التقوى بحسن العمل والنيّةِ الصادقة.

تضيءُ من التقوى حنايا صُدورِهمْ وقد لَبِسوا اللّيل البهيمَ مَدارعا[88]

كما تعقب الشدّة فرج قال تعالى:((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))[89]. ومـن تباشـير التقـى قوله[90]:

والماء للهَفَـانْ واليُسرِ عند المُعْسر

وجنّةُ الرّضوان بعد العذاب الأكبـرِ

وتأكيداً لتقاه يقول[91]:

ملأتُ يدي فيه ومن نجلهِ الرّضَى ومَنْ رُزِقَ اليُسرين لم يَرْهب العُسر

والمسلم الصادق قد يجمع الله شملهِ على حسنِ التقى[92].

فأسأل الله أن يُعيدكُم ويجمْعَ الشملَ بَعدما افترقا

وقد مدح الشاعر الوزير أبا عمرو بن الجد حين شيّد داره على التقـوى سـنة احـدى وأربعـين وسـتمئة مـدركاً قولـه تعـالى: ((أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ))[93]. قائلاً[94]:

شيّدتَ عهدكَ فالتقوى دعائمُهُ وأشتقّ فيهُ بناءَ ظلتَ تصنعه

فالعهد أكرمُ منويّ وأوثقُـــهُ والدارُ أسعدُ مَبنيّ وأرفعُـــهُ

أنت الذي أسّسْتَ بالصدق بيعتهُ كمثلِ ما أُسّسَتْ باليمُين أربُعَهْ

هذا وكان ميزان التفاضل بينهم التقوى. وهي مجمع الفضائل في قوله تعالى: ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ))[95]. والتي تمثلت بالعقيدة السليمة والتصور الصحيح للحياة الكريمة والخلق المتين والمسؤولية النزيهة والسلوك الايجابي المحض، منطلقاً من الايمان المقترن بالورع والسلوك المتجرد للوصول لرضوان الله.

اليقين:-

لفظٌ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين، أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك. وقد أشار الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم، الى ذكر الموقنيّن في مواضع دلّ بها على أنّ اليقين: هو الرابطة للخيرات والسعادات[96]. كما أشار النبي الأمين في حديثه الشريف (ثلاثة من كن فيه، وجد بهنّ حلاوة الايمان، أن يكون الله وروسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء يحبه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار)[97]. هذا ما كان في يقين الشاعر لكون الضلال إذلال وذل، والايمان عزّ وتقى:

أعطاهمُ الحَزْمُ أيماناً مؤيدةً أنّ الضلال ذليلٌ حيثما كانوا[98]

فقبلكم ما أتى موسى بآيتِه مصراً فلم يُغنِ عَنْ فرعونَ هامانُ

بينما قال ابن حزم: اليقين (عقدٌ في القلب وإقرار باللسان)[99]. فاليقين هو التصديق باللسان والقلب معاً، وإنّ الأعمال هي شرائع الأيمان وبهذا أيقنَ الشاعر قائلاً[100]:

ياسَمّتي المصطفى يا بغيتي يامُنتى نفسي وحظيّ من زماني

الهوى عندي ايمان فلا بُدّ منهُ في فؤادٍ ولسان

كما بدا الشاعر بتقواه باعثاً على الثقة لا الشكوى، والاتقان في العمل لا الهبوط، والعزيمة وصلابة الارداة وقوة التحمل.

تلاقي على وادي اليقين قلوبهم خوافق يذكرن القطا والمشارعا[101]

قلوب عرفنّ الحقّ فهي قد انطوت عليها جنوب ماعرفْن المضاجعا

فما اشتبهت طرقُ النجاةِ وإنما ركبتَ إليها من يقينِكَ ظالعا

وجعل ابن عربي اليقين من شأن نور الايمان وحده. وفكر على العقل الطبيعي ان يكون معيار الحق في أي مبحث، ومن مجموع التجارب التي تصل اليها النفس بنور الايمان، تبعاً

لمقاماتها في المعرفة وهي سبيل عبادة الله.[102] وفي العهد والميثاق والثقة واليقين في مقام التوحيد قال ابن سهل[103]:

نامتْ بهِ مقلةُ التّوحيدِ آمنـــــةً وعينُهُ لم تَذُقْ غَمضاً ولَمْ تنمِ
حمى الهُدى وأباحَ الرّفدَ سائلهُ فالرّفدُ في حَربٍ والدينُ في حَرَمِ
لئنْ هززْتُكَ للدهرِ الخؤونِ فما هززتُ للحَرب غير الصارمِ الحذِمِ

والمعاني التي تعطي لمحات خفيّة عَن اليقين من المعاني المقصودة من نص سورة النور ((يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ)).[104]

لله سرٌ جمالٍ أنتَ مَوْضعُـــــهُ والسرّ حيثُ يشاءُ الله يودعُه[105]
من كان ينكرُ ان الخلق جمَع في شخصٍ ففيك بيانٌ ليس يدفَعُه

ولا نستبعد من أن ابن سهل الاندلسي، اطلع على المصنف الجليل (كتاب اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن ابليس وسائر المشركين)[106]. للحجة الذهبي، وهو مجلد كبير، وشرب من منهله على الرغم مما لمسناه من إلتقاط الحكمة واليقين من مصدرها– القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بروحانية الاسلام من سقيا الكوثر وبركات ماء زمزم في علاج الاسقام.[107]

كفاكَ تُقْتُ إليها وأراهُما لعلاجِ سُقمي زمزماً والكوثرا

والشاعر كله يقين بسقيا الكوثر[108]:

وتَجشّمُوا البَحرَ الأُجاجَ فإنّهُ سببٌ بهِ تردونَ نَهرَ الكوثرِ
لله نهر ما رأيت جمالـــــهُ إلاّ ذكرتُ لديه نهرُ الكوثرِ

ويقينه بمعجزة النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام)[109]:

موسى تنبأ بالجمال وإنمـــا هاروت لا هارون من أنصارهِ
أن قلتُ فيه: هو الكليم فخدّه يهديكَ معجزةَ الخليل بنارهِ

وقد تيقن ابن سهل بأن المهمة الأساسية لرسالة المسلم هو الجهاد والاستشهاد والفوز بالجنات، قال في موشحه صنعها للرئيس ابن حكم[110].

مَيْتُ الصدودْ قُلْ ما تريدْ حقُّ الشهيدْ جنّةُ الخُلدِ

كيقينه بتلاوة القرآن الكريم أثناء المعارك إحرازاً للنصر المبين، وفتح باب السماء، لتقبل الدعوات.[111]

يشلُّ الكتائب عندَ النّزال ويتلُو الكتابَ كما نُزّلا

له دعوةُ الأمر في حفله وأُخرى الى الله مهما خَلا
يصولُ بهذي لكي تُقْتفي ويخضعُ في ذي لكي تُقبَلا
فهذي تُفتحُ باب السّما وذي تفتحُ البلدَ المُقْفَلا

المبحث الثالث

المنطلق الروحي التطبيقي

الفرائض الاسلامية:

وردت ألفاظ الفرائض الاسلامية في ديوان ابن سهل بصور مختلفة، تلميحاً واشارة، للطاعات، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ((يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ...وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))[112]. أما ابن عباس (رضي الله عنه وأرضاه)، أي في حل دينهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم والشروط أن تنتهي الى أجل معلوم[113]. فالمؤمن ينبغي أن يقتصر على تعلم المبادىء الدينية والأخلاقية والعبادات ومبادىء الزهد الضرورية[114].

ومن الواضح أن الفضل في التكوين الروحي لإبن سهل إنما يرجع أولاً الى التعليم الحي الذي تلقاه من شيوخه الأندلسيين[115] وربما اطلع على بعض المصنفات التي شاعت في عصره الإسلامي قبل (الرسالة) التي كانت تستخدم في المشرق الإسلامي والمغرب على السواء.

لذا يقتضي القيام بتحليل دقيق للأشعار ذات الأثر القرآني البارز، من أجل عقد مقارنة بين ما ورد فيها من أفكار ورموز ومجاهدات روحية وبين النماذج المحتملة، لنستنتج بطريقة علمية نشأة الروحانيات الإسلامية عند الشاعر.

الصلاة:

الصلاة فريضة إسلامية، وهي صلة المرء بخالقه خمس مرات في اليوم فردية وجمعية. وهي حمد واطمئنان وتذكر بربوبية الله ودعاء بين يديه في خشوع وذلة وثقة بالاستعانة به وحده[116]. وهي جزء من النظام الروحي في انسجام الفكر والروح والخلق. وقد سُئل الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أحب الأعمال الى الله تعالى، فذكر الصلاة لميقاتها[117]. وذكر ابن حزم في رسائله (الصلاة من أحسن من عمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم)[118]. والمنهج المستقيم مراعاة الصلاة لأوقاتها وإقامتها على كمالها بحدودها[119].

ورسم لنا الشاعر صورة جميلة لسعي المكبر، ولصوت المؤذن ومكانته عند ربه، وما يلقاه من الجزاء الأوفى.

الله أكبر قد رأيت بك الأذى يلقاهُ كلّ مكبّر إن كبّرا[120]

كما رسم مناهج إيمانية ومفاهيم ومعانٍ عقائدية آمن بها وصدقها عقله. واطمئنانٌ إليها قلبه. قال تعالى: ((قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ))[121].

هما للهُدى والتُقّي ديمتان فغرسُ الفضائل لن يذبلا

وأحيا قيامك ليلّ التمـــام وأحيا فداك الثرى الممحلا[122]

وأشار الى قيام الليل بقوله[123]:

وكم أحيْتِ الليلَ الطويلَ صلاتُه وكم قَتَلتْ مَحَل السنين قواضله

وقد لمح بجانب يتصل بالإقامة الروحية المحببة وهي صلاة النافلة!

ترى فيه فيض النيّل، والبدر كاملاً إذا لاحَ مرّآهُ وجادت أنامِلهُ[124]

ولكن عيب علي ابن سهل لكونه لم يحرص على تأدية الصلاة الجامعة في أوقاتها المعلومة، فكان في أيام شبابه لا يهتم كثيراً بأداء الفرائض كالصلاة مع الجماعة والظهور في المساجد[125]. لذا لم يجعل الناس يعدونه مسلماً في مرحلة إقامته في إشبيلية، بينما في المرحلة الثانية[126] وهي الفترة السبتية. كان يلازم صلوات الجماعة ويشتغل بقراءة القرآن أي أنه جمع الى القول عملاً.

الصيام:

إمساك عن الطعام والغذاء، أما بقية العبادات فهي علنية ظاهرة ليست لها خصوصية الصيام. وهو نقاء الروح وغذاء لها وزهد وقناعة وتجرد وتآلف[127]. قال تعالى: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[128]. والصوم اختصه الله تعالى وحده دونَ سائر الأعمال، جاء في الحديث القدسي (قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له، إلاّ الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به)[129]. وقد مدح ابن سهل أبا علي بن الخلاص لتأدية الشعيرة الروحية.

مضى رمضان كثير الثنـــاءِ عليكَ وودّعَ لا عن قلى[130]

فلو كان ينطقُ شهرُ الصيام لقامَ بشكركَ بيْنَ الملا

ومما يلاحظ أن الشاعر قد استوعب المجاهدة النفسية والنقاء الروحي في الصيام. وهو اختصاص الله وحده دون سائر الفرائض. فقد عبّر بها عن نقاء الروح والتجرد والقناعة في إقامة هذه الشعائر الدينية التي تجمع المسلمين مع تقوية وشائج المحبة للمؤمنين[131].

أوحشْت شرَ الصوم حتى قد بَدَتْ للبـــتِّ فيه وللأس أعلامُ

سيبرُ هذا الشهرُ قبلَ أوانـــــهِ إذ لَمْ يسعْهُ لما صنعت مقامُ

وهكذا وجد ابن سهل الكمال في الصوم وربما كان يدوام على تلاوة القرآن والتأمل في آياته أثناء صيامه. وقيل أن الصوم شاع بينهم إلا أولئك الذين لديهم رخص دينية. وكانوا يأنسون بهذا الشهر الكريم. وتطيب نفوسهم. وربما أصابهم الحزن لانقضائه، فهو زائر كريم يود المؤمنون أن يكون طول العام ليزدادوا فيه ثواباً وأجراً ومغفرة.

الحج:

المعنى اللغوي للحج: القصد، وحججت المكان: قصدته[132]، ويريد تكرار القصد بالتوجه الى هذه الذات المنزهة من أجل دعاء الأسماء الإلهية في كل نفس وحين[133]. وقد جعل الاسلام الحج ركناً من أركانه. قال تعالى:((وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ))[134] وقد أعطى الإسلام قدسية لتعظيم هذه الشعائر وجعل سبحانه وتعالى التقوى شعاراً وعلامة لمن يعظمها. قال تعالى:((ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ))[135]. ولفظة الحج ومدى فهمه لهذا الركن من أركان الدين الإسلامي كما يدل على إدراه لمراسيم الحج، ومنها: رمي الجمرات، وهو ما يحصبون به الخواطر النفسانية والشيطانية[136]. والسعي بين الصفا. يقول[137]:

مع الجمرات ارموُه يا قومُ إنّـــــه حصاةٌ تلقّت من يد الشوق صادعا

وخطوا رجائي في رجا زمزم الصفا وخلّوا المُنى تجمَعُ غليلاً ونافعا

وفريضة الحج معراج الروح الى الله، وفيه ثبات على العقيدة في البذل والتضحية. رغم النصب والمشقة، وهو فرض واجب وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ((الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة))[138]. وقد لمح الشاعر بهذا الجزاء في محو الذنوب قائلاً[139]:

لئن كان فرض الحج يمحو مآثمي فلقيالكَ حجّ والخطوبُ مآثِمُ

ذاكراً الكعبة التي تُمسخ عليها ذنوب المذنبين.

وكأنّ بابكَ كعبة يمحـــو بهـــــا زلاته من قد أتاها مذنبـــا[140]

الزكاة:

الزكاة في اللغة: النمو والزيادة، (زرع زاك ومال زاك، نام بين الزكا، وقد زكا الزرع)[141]. وتعني أيضاً التطهير قال تعالى:((خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم))[142]. أما الزكاة في الشريعة الإسلامية فلها دلالة جديدة وهي فريضة قد فرضها الله تعالى على المسلمين بقوله:((وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ))[143]. وهي تنمي معاني الخير وتعمق المعاني الانسانية، إذ الزكاة تؤخذ من المسلمين فقط. وقد وردت لفظة الزكاة في ديوان الشاعر بمعناها الإسلامي مصرحاً بها قائلاً[144]:

بلغتَ نصابَ الأربعينَ فزكّها بفعل تُرى فيه مُنيباً ورابعاً

كل هذه الشعائر لله من صوم وصلاة وحج وزكاة، فالمسلم الحق يلزمه الوفاء بها إجماعاً. وهذه المبادىء الأساسية في روحانية ابن سهل، وهي جوانب لصفات المتقين إذا تجمعت شكلت المؤمن الصالح المستوعب للفهم الإسلامي، وهي صدى واضح لإسلامه، وإن لم تتحقق في حياته أولاً، وفي روحانيته ثانياً، وان كان من العسير الفصل بين كلا الأمرين.

القضاء والقدر:

ذهب بعض الناس لكثرة استعمال المسلمين هاتين اللفظتين الى أن ظنوا أن فيهما معنى الإكراه والإجبار[145]. وليس كما ظنوا، وإنما معنى القضاء في لغة العرب الحكم، لذلك يقولون: القاضي بمعنى الحاكم. قال تعالى: ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ))[146]. ومعنى القدر في اللغة العربية الترتيب والحد الذي ينتهي اليه الشيء. تقول قدرتُ البناء تقديراً إذا رتبته وحددته. قال تعالى: ((وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا))[147] بمعنى رتب أقواتها وحددها[148].

ومعنى القضاء والقدر، حكم الله تعالى. وجاء في معنى القضاء قضى له القاضي، وعدل في قضائه وقضيته، وقضاء الله ترد له الأقضية، وقاضيته حاكمته. وقضى الله أمراً، وقضى فلان حاجته، واقتضيت منه حقي أخذته[149]. وقال تعالى: ((إذا قضى أمراً))[150]. أي أحكم أمراً وأتقنه. والقدر في تقدير مقادير البشر. وما كتبه الله للإنسان من رزق وشقاء وسعادة وأجل والقضاء تحقيق هذه المقادير للإنسان في الحياة. ومما ورد في الذخيرة، القضاء موافاة الأجل كما (قدره الله له وقضاه)[151]. فقد استعمل الشاعر لفظة القضاء والقدر كما وردت في القرآن الكريم.

جرى القضاءُ بأن أشقى عليكَ وقد أوتيتَ سُؤلك ياموسى على قَدرِ[152]

وقد عصم الشاعر إيمانه بالقضاء والقدر من الخوف والجبن في قول الحق والفصل بينه وبين الباطل قائلاً[153]:

فَوِّقْ سِهامَكَ إنَّ الله يَهديهـــا واسلُلْ سيوفكَ فالأقدار تُمضيها

ثمارُ نَجْحٍ سحابُ الرأي يُمطرها وأنت تغرسُها، والدين يَجْنيها

وقد استخدم الشاعر لفظة (القضاء) مقرونة مع (القدر) في أبيات من قصيدة في رثاء أبي العباس مشرف إشبيلية[154].

يا ليتني في عيشتي شاطرتُهُ لو كان لي عند القضاء خيارُ

يا ليتني قاسمتُهُ ألمَ الـردّى لو كان يَرْضَ قسمتي المقدارُ

وهكذا استخدم الشاعر لفظة القضاء والقدر مؤمناً بقدرة الله ومشيئته.

اليوم الآخر:

من المعاني القرآنية التي رددها الشاعر في شعره (اليوم الآخر) ومرادفاته، كما نمّ شعره عن مستودع لبيان كثير من الرهبة في الدنيا ويوم الحساب، بعد أن وضحت نفسه الانسانية وميله للخير ونبذ الشرّ، والحث على العمل من أجل الفوز بالآخرة ونعيمها[155].

خلّوا الديار لدارِ خلدٍ واركبوا غمرَ العجاج الى النعيم الأخضر[156]

ولا يخفى على عاقل أن أثقل ما في الميزان يوم الحساب، لأن كل أحد يحاسب؛ فيجازى بعمله ومن أجل ذلك يقال كما تدين تدان[157]، ولا عجب من أن يشير الشاعر المسلم عن رضوان الله في يوم الحشر، ذلك هو الفوز العظيم إيماناً مطلقاً بالإسلام وروحانية مبادئه:

وردْاً فمضمون نجاحُ المصدَرِ هي عزةُ الدّنيا وفوزُ المحشَرِ[158]

فالإنسان يحاسب بين يدي الله في الآخرة، وقد بين الشاعر أن القضاء في الخير والشر تفصيلاً في ذلك اليوم والحساب والعقاب واقع لا محالة.

سأقتضي مِنك حقيّ في القيامة إن كانت نجومُ السّما تُجزى عن البشر[159]

لقد وردت تسميات كثيرة لهذا اليوم منها (دار المقامة، دار السلام، دار الطمأنينة، دار الأمان)[160]. ولقد سمى ابن حزم الأندلسي[161]. اليوم الآخر، يوم البعث، كما سماه عبدالله بن الجد بيوم الفزع[162]، بينما ابن سهل لقبه بالمقام الأكبر.

وتحملوا حرَّ الهجير فأنّـــــهُ ظلّ لكم يومَ المقامِ الأكبر[163]

وهكذا استيفاء الحقوق في القيامة، فنجد تأثير الخط العريض للتصور الإسلامي للحياة مستغلاً قدرتاه العقلية، بعد مزجها بالحضارة الإسلامية وهدايته الى متغيرات الحياة.

ولستُ أعُدّ هذا اليوم منها لعلّ اللهَ يفتحُ منه بابا[164]

فإن تكُ لم تعُدّ ولم تُحقّقْ فلي شوقٌ يعلّمني الحسابا

وتذكر الحساب فيه ردع عن السلوك المعوج، وتهذيب السلوك يستلزم يقضة وانتباه.

المبحث الرابع
منطلقات إيمانية أخر

لقد وجدنا الشاعر طبيعة خصبة حسّاسة، بارعة في التضمين والاقتباس من القرآن الكريم والحديث والسنة. إن دل على شيء فإنما يدل على أنه مسلماً عابداً نقيّاً صادقاً لله في عبادته، متأثراً تأثيراً عظيماً بالقرآن. بعد أن وجد الإسلام خلاصة الأديان السماوية وهيمنة عليها لا هدم لها، والظاهر أنه توسم فيه خيراً. وقد وردت في ديوانه قصص نبوية كقصة موسى، ويوسف، وزكريا، وعيسى عليهم السلام[165]. ولم يكتف ابن سهل بأن يستمد معاني القصص في غزله، وعلى ما نرى في حبه لصديقه موسى ومحمد، مجرداً في كل شهوانية مرتفعاً الى أعلى درجات السمو والروحانية متخذهما رمزاً على الحب الإلهي، قائلاً[166]:

أموسى لقد أوردتني شرّ موردٍ وما أنا فرعون كفورَ الصنائع

وقد ضمن الشاعر سورتي الضحى وعبس وفيها توريتان[167] لطيفتان

حُسنُهُ يتلُو (الضّحى))مُبتسماً وهو منْ إعراضه في ((عبس))

وقوله في كتاب العهد[168](الشاهد والظهير)[169].

فقالوا : هل مليكُ بذا ظهيرٌ فقلتُ: نعم عليٌّ وشاهدانِ

وفي التضمين (ذي القرنين). قوله[170]:

وفضلُ رأيكَ لو يرمي ببادرةٍ من عزمِه سدّ ذي القرنين لانهدما

كما ورد لفظ الصلصال، السلسبيل، استبرق، عدن، الكوثر.

سَمحتُ في سقكِ دمي راضياً برشفهِ من ريقك السّلسلِ[171]

صُوّرَ من نورٍ ومن فتنةٍ والناسُ من ماءٍ ومن صلصلِ

وقوله[172]:

أما نداهُ فكوثرٌ وفناؤهُ عدنٌ وهذا الزيُّ من إستبرقِ

وتساوقت المعاني القرآنية في ديوان الشاعر ضمن الترغيب والترهيب

جلا للزهر مـــرآك ولا أتبـــــع إلاّكَ

فهَبْ لي جنةَ المأوى أراها من مُحيّـــاك

وجنة المأوى هي السماء السادسة وهي الجنة التي يدخلها المؤمنون يـوم القيامـة[173]. والجنة المقام الذي يكون به النعيم الإلهي القدسي.

وقد غمرت أقوال الشاعر همساً ومعنى هذه الحقائق. (فالعاقل لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنة)[174]. فقد خلق الله الجنة، ولم يرضَ لعباده أن يـدخلوها إلاّ بأعمـالهم لتكـون واجبـة لهم)[175]. وقد ضمن لفظة الجنة، والجحيم بقوله[176]:

يا جحيماً على القلـــو ب ويا جنةَ الحدَقْ

ما أرى الخال فوق خدّ يك ليلاً على فَلَـقْ

ومن المفردات القرآنية، الضلال، المبين، والفتح المبين[177].

قد كتب الحُسنُ على خدّهِ إنا فتحنا لكَ فتحاً مُبيـــنْ

يا قلبُ إن مِلتَ إلى غيرهِ ما أنت إلاّ في ضلالٍ مُبين

كذلك الحور العين[178].

ما كنتُ أحسبُ قبل حبكَ أن أرى في غير دار الخُلدِ حُورَ العينِ

قَسَماً بحُسنكِ ما بصرت بمثلـــهِ في العالمين شهادة ليميـــنِ

وقد اقتبس من سورة التكور ((الَّيلِ إذَا عَسعَسَ))[179] حين قال:

مضى الوصلُ إلاّ منيةً تبعثُ الأسى[180] أُداري بها همّي إذا الليلُ عسعسا

ومن سورة القيامة وجوه ناظره[181].

مُنَضّرةٌ بيض الوجوهِ تخالُها على صفحةِ الطرس الدراريّ والدُرّا[182]

ويلاحظ على ديوان ابن سهل انسجامه مع مضامين التوحيد والتقرب الـى الله وتلقـف الألفاظ والمعاني القرآنية بطريقة القصص القرآني في السرد وعرضها مؤدياً المنطلق الإسلامي في غزله ومدحه وموشحاته.

خاتمة البحث ونتائجه

أدرك ابن سهل الأندلسي، الفكر الإسلامي، مستنكراً الشرك والضلال مبتعداً عن الفكر المناهض للإسلام. وبهذا أنكرنا ما نكره بعض الأقدمين عنه في مقدمة الديوان[183].

وجدنا الشاعر مؤمناً بإسلامه ولم يكن ذهنه خالٍ من الشريعة الإسلامية بل مستوعباً لها، مطمئناً الى الطريق الذي سلكه، ربما وجد ضالته في اعتناقه للإسلام. بعد أن جعل القرآن سياجه الحصين لفكره وعقيدته من الانحراف.

هبط رصيد الشاعر لدى أهله، فلم يذكر أحداً منهم في ديوانه مكتفياً ب(موسى) الذي أبطل شريعة بعد عشقه ل(محمد) ولم يكن هذا الانسان عقبة في اعتناقه العقيدة، وربما كان رمزاً للعشق الإلهي. ورأينا حبه لهما حب العالم العلوي.

الشاعر ذو مسؤولية في دقائق الحياة ومفرداتها، نادى بالحب والإيثار، كما نادى بالتماسك وترك الباطل والتسامي، منطلقاً من مجتمعه الإنساني وقيمه النقيّة، مبتعداً عن كل ما يهدم الحياة في ذلك المجتمع.

شمل ديوانه المعاني الإسلامية في شتى مجالاتها، ودار منطلق الإسلام في تلك العقائد والإيمان بهديها والالتزام بها.

لقد فهم الشاعر النص القرآني بحد ذاته وطبقه عن قناعة عقلية، فاتسع تفكيره، وتشعبت ثقافته، وتمكنت عقيدته الدينية وسلطانها من نفس الشاعر، لذا خلا ديوانه من التفكير الفلسفي والاتجاهات الفلسفية التي راجت في عصره وفي المشرق[184].

حرص الشاعر على أن يجعل أشعاره إسلامية الوجه قرآنية المبنى والتدليل، وقد ربطها بالرباط الفكري الإسلامي في كل شعبة، والمنهج الذي طبقه في الديوان هو منهج إسلامي أصيل غير متأثر فيه بهذا أو ذاك من الشعراء، منطلقاً من تصور وجيه مستنداً على ركائز دينية وأصول إسلامية.

انطلق الشاعر من غاياته وتطلعاته في تقديس الآيات والنصوص النبوية. بعد اعتناقه للإسلام وهجره للديانة اليهودية متمسكاً بالقرآن الكريم وسنة نبيه الأمين فما الداعي أن نشك بولائه وإخلاصه للإسلام. بعد أن وجدنا تأثر شعر الشاعر تأثيراً عميقاً بثقافته الإسلامية علماً أن شعره لا يمثل أية أزمة تحول من دين الى دين، وكأنه فطر على الاسلام، وهو ذو دلالة عميقة على طبيعته ونفسيته.

الهوامش :

[1] العقاب: موقعة حربية انهزمت فيها جيوش الموحدين امام زحف الجيوش الاسبانية التي كان يقودها الفونس الثامن ملك قشتاله في عام (609هـ) انظر مقدمة ديوان ابن سهل الاندلسي، ص9ـ10 تحقيق د. احسان عباس، ط بيروت، دار صادر 1980.

[2] ديوان ابن سهل الاندلسي: ص12.

[3] نفح الطيب من غصن الاندلسي الرطيب المقرّي،ج2، ص520-522، تحقيق د. احسان عباس، بيروت، دار صادر 1968.

[4] اختصار: القدح المعلى في التاريخ المحلى ابن سعيد ص73، تحقيق: ابراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني بيروت ط2، 1980.

[5] فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، ص2، تحقيق: د. احسان عباس ط، دار صادر، وانظر: ديوان ابن سهل ص13.

[6] المقرب في حلى المغرب: ج2، ص264، تحقيق د: شوقي ضيف، دار المعارف ط 1980.

[7] ديوان ابن سهل ص278. [8] م ن: ص26.

[8] الديوان: ص32.

[9] م ن: ص33.

[10] فوات الوفيات والذيل عليها: ص20.

[11] توشيع التوشيع: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي: ص189.

[12] فوات الوفيات: ص41.

[13] الديوان، ص20.

[14] سورة فصلت الاية33.

[15] الديوان، ص168.

[16] الشعر في عهد المرابطين والموحدين د. محمد مجيد السعيد ص196.

[17] الديوان، ص212.

[18] م ن، ص م ن.

[19] م ن، ص217.

[20] م ن، ص215.

[21] سورة القصص، آية 12.

[22] الديوان، ص47.

[23] الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص197، وانظر الديوان، ص17.

[24] المسلك السهل، الافراني، ص17.

[25] انظر الديوان، ص17.

[26] ترجمان الاشواق محيي الدين بن عربي: ص10، ط، دار صادر.

[27] الديوان: ص34.

[28] م ن، ص4م، نقلاً عن النفح: ج4ص352، واختصار القدح المعلى: ص73.

[29] الديوان: ص35.

[30] فوات الوفيات: ج1ص41.
[31] الديوان: ص35.
[32] اختصار القدح المعلى: ص74.
[33] ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين: ج1 ص99.
[34] أنظر مدخل الى التصور الاسلامي للإنسان والحياة: د. عابد توفيق الهاشمي: ص33. ط1/1982. دار الفرقان، عمان جبل الحسين.
[35] الحوليات: ص141-142. أنظر سورة مريم: آية 2، 4، 48.
[36] الديوان نفسه ص141.
[37] م ن، ص25.
[38] ترجمان الاشواق ص44.
[39] رسائل ابن حزم الاندلسي ج 3 ص35، ط1982، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
[40] ابن عربي حياته ومذهبه ص103، ترجمته عن الاسبانية عبد الرحمن بدوي، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت دار القلم بيروت - لبنات ط 1967.
[41] المغرب والاندلس، افاق اسلامية د. مصطفى السكحة ص24، دار الكتب اللبناني مصر ط 1987.
[42] رسائل ابن حزم، ج 3، ص 198.
[43] م ن، ج3 ص198.
[44] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم الجوزية، ص124، دار العلوم الحديثة، بيروت.
[45] سير النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق الاقغاني، ص48-49 دار الفكر، بيروت 1969.
[46] رسائل ابن حزم، ج3، ص194-195.
[47] سورة التوبة، آية 111.
[48] سورة محمد، آية 19 (فاعلم انه لا اله الا الله)، الديوان 141.
[49] الفرقان، آية 73 .
[50] انظر: رسائل ابن حزم ج3، ص35.
[51] الديوان، ص106.
[52] الديوان نفسه ص25.
[53] الديوان نفسه ص133، وانظر 27.
[54] م ن، ص27.
[55] م ن، ص102.
[56] م ن، ص334.
[57] م ن، ص183، وانظر سورة الفلق آية 5.
[58] الديوان : ص94.
[59] م ن، ص81.
[60] الأنفال، آية 24.
[61] الديوان: ص187-188.
[62] م ن، ص188.
[63] م ن، ص121.

[64] م ن، ص207.
[65] م ن، ص122.
[66] التوبة، آية 71.
[67] الديوان، ص141-142.
[68] انظر سنن ابن ماجة ج2 ص1413، حقق نصوصه ورقم كتابه، وابوابه، محمد عبد الباقي، دار الكتب العلمية.
[69] الديوان، ص140 وانظر الحوليات.
[70] ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص126 ج1 تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار المعارف مصر 1966.
[71] الديوان: ص105.
[72] الديوان: ص131.
[73] الديوان: ص137.
[74] الديوان: ص120.
[75] الديوان: ص233.
[76] مدخل الى التصور الاسلامي: ص112.
[77] الحب في القرآن الكريم: د. محمد الزين: ص15.
[78] مدخل الى التصور الاسلامي: ص113.
[79] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية: ص16 ط/ بيروت، دار الشرق الجديد.
[80] النمل: آية92.
[81] الديوان: ص117.
[82] الطور: آية17.
[83] الروم: 30.
[84] أنظر صحيح البخاري: 1358-1359.
[85] الديوان: ص114.
[86] محمد: آية17.
[87] الديوان: ص240-241.
[88] م ن: ص533.
[89] الشرح: آية 5-6.
[90] الديوان: ص296.
[91] م ن، ص123.
[92] م ن، ص254.
[93] التوبة: آية109.
[94] الديوان: ص237.
[95] الحجرات: آية 13.
[96] أنظر: احياء علوم الدين: الغزالي: ط1 ص64.
[97] حديث متفق عليه. أنظر: صحيح البخاري: 1452-1453.
[98] الديوان: ص207.
[99] الملل والأهواء والنحل: ابن حزم: ج2 ص111.

[100] الديوان: ص209-210.
[101] الديوان: ص233-234.
[102] ابن عربي حياته ومذهبه: ص111-113.
[103] الديوان: ص184-185.
[104] النور: آية 35.
[105] الديوان: ص235.
[106] أنظر الذهبي: كتاب سير النبلاء.
[107] الديوان: ص139.
[108] الديوان، ص141.
[109] الديوان: ص155.
[110] م ن، ص333.
[111] الديوان، ص270-271.
[112] سورة البقرة، الآية 189.
[113] الحلل السندسية في الأخبار التونسية، محمد بن محمد الأندلسي، مجلد1، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة.
[114] ابن عربي حياته ومذهبه، ص112.
[115] م ن، ص105.
[116] أنظر: مدخل الى التصور الإسلامي، ص127.
[117] البخاري، 385، 432، مسند أحمد بن حنبل.
[118] رسائل ابن حزم، ج3، ص258.
[119] المقتبس، تحقيق عبدالرحمن الحجمي، ص111-112، وإشارة الصلاة في الذخيرة، ج3م1، ص327.
[120] الديوان، ص136.
[121] سورة المؤمنون، آية 1-2.
[122] الديوان، ص270.
[123] م ن، ص176.
[124] م ن، ص177.
[125] أنظر: الديوان، ص32، 33-35.
[126] م ن، ص36.
[127] الذخيرة، ج3، م1، ص179-182.
[128] سورة البقرة، الآية 183.
[129] رواه مسلم.
[130] الديوان، ص 269.
[131] نفسه، ص193.
[132] أنظر: لسان العرب، مادة (حج).
[133] ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص20.
[134] سورة آل عمران، آية 97.
[135] سورة الحج، الآية 32.

[136] ترجمان الأشواق، ص21.
[137] الديوان: ص233-234.
[138] صحيح البخاري، نقلاً عن مجلة المعهد العربي للدراسات الإسلامية في مدريد، م1، ص33 ط1955.
[139] الديوان، ص182.
[140] م ن، ص130.
[141] أساس البلاغة: مادة (زكو).
[142] التوبة: الآية 103.
[143] سورة المزمل، الآية 20.
[144] الديوان، ص234.
[145] الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، ص50، 51.
[146] سورة الإسراء، الآية23.
[147] سورة فصلت، الآية 10.
[148] الزينة في الكلمات العربية الإسلامية، ج2، ص136-137.
[149] أساس البلاغة، (مادة قدر).
[150] أساس البلاغة، مادة قضى.
[151] الذخيرة، ج3، م1، ص78.
[152] الديوان، ص149.
[153] م ن، ص265.
[154] م ن، ص 146.
[155] مجمع البيان في تفسير القرآن: ج1، ص381.
[156] الديوان، ص141.
[157] الزينة في الكلمات العربية الاسلامية، ج2، ص227.
[158] الديوان، ص24.
[159] م ن، ص149.
[160] الذخيرة، ج3/ م1، ص75.
[161] ابن حزم، طوق الحمامة، ص250.
[162] الذخيرة، ج2، م1، ص286.
[163] الديوان، ص141.
[164] م ن، ص87.
[165] أنظر مقدمة الديوان: ص48-49.
[166] الديوان، ص238.
[167] م ن، ص49.
[168] الديوان: ص220. الظهير: كتاب العهد.
[169] م ن، ص189
[170] الديوان، ص186.
[171] م ن، ص 250.

[172] م ن، ص250.
[173] الملل والنحل، ج4، ص82.
[174] الأخلاق والسير، ص15.
[175] طوق الحمامة، ص255.
[176] الديوان، ص257.
[177] م ن، ص 225.
[178] م ن، ص224.
[179] سورة التكوير، الآية 17.
[180] الديوان، ص261.
[181] القيامة، آية 22-23.
[182] الديوان، ص124.
[183] أنظر مقدمة الديوان، ص48-49.
[184] الأدب العربي في الأندلس، محمد عبدالمنعم خفاجة و د. حسن جاد حسن، ص14، ط8.

اهم المصادر المعتمدة

1- القران الكريم.
2- ابن عربي حياته ومذهبه، آسين بلاثيوس، ترجمة إلى الاسبانية عبد الرحمن بدوي، ط، دار العلم بيروت، 1979.
3- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ط1.
4- الأخلاق والسير: ابن حزم الأندلسي.
5- اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي، ابن سعيد، تحقيق د. ابراهيم الابياري، دار الكتاب، بيروت 1980.
6- أساس البلاغة، الزمخشري: جار الله محمد بن عمر، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، سنة 1927م.
7- البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، 1-3، نشر بعناية أ. ليفي بروفنسال، ط باريس، 1937.
8- ترجمان الاشواق، محي الدين بن العربي، ط دار صادر.
9- توشيع التوشيع، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.
10- الحلل السندسية في الاخبار التونسية، محمد بن محمد الاندلسي، الحبيب الهيلة، ط/ 1980.
11- ديوان ابن سهل الاندلسي، تحقيق د. احسان عباس، ط/ دار صادر، بيروت 1980.
12- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، محمد بن محمد الأندلسي، الحبيب الهيلة، ط/ 1980.

13- ديوان ابن سهل الاندلسي، تحقيق د. احسان عباس، ط/ دار صادر، بيروت 1980.
14- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، علي بن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، علي بن بسام الشنتريني، تحقيق د. أحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس.
15- رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق الدكتور احسان عباس، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط1.
16- سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فواد عبدالباقي، دار الكتب العلمية.
17- سير النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق الافغاني، دار الفكر، بيروت، 1969.
18- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر 1961.
19- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس، د. محمد مجيد السعيد، ط2/ 1985، الدار العربية.
20- صحيح البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، دار احياء التراث، بيروت.
21- طوق الحمامة في الالفة والالاف، ابن حزم الاندلسي، حققه وقدم له صلاح الدين القاسمي، ط/ تونس، 1980.
22- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، ط/ دار الشرق الجديد، بيروت دار العلوم.
23- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد شاكر الكتبي، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر.
24- الفصل في الملل والاهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان.
25- لسان العرب، ابن منظور، الامام ابو الفضل جمال الدين محمد بن كرم، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ .
26- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ج1، ط/ 1381ه .
27- مدخل الى التصور الاسلامي للانسان والحياة، الدكتور علي توفيق الهاشمي، ط/ 1982، دار الفرقان.
28- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، تحقيق د. شوقي ظيف، دار المعارف، ط/ 1980 .
29- مسند احمد بن حنبل (ت 241ه) ، شرح احمد شاكر، ط1.
30- المقتبس في ذكر رجال الاندلس، ابن حيان، تحقيق عبدالرحمن علي الحجي، دار الثقافة 1965.
31- المسلك السهل في توشيح ابن سهل، محمد بن عبدالله الافراني المراكشي، ط/ فاس، 1354ه.
32- نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، احمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968.

Conclusions and results of the research:

Ibn Sahl Al-Andalusi perceived Islamic thought, denounced polytheism and misguidance , and kept away from anti-Islamic thoughts, and hereby we denied what was said about him by some of the ancients in the introduction of the divan.

We found that the poet believed in Islam and his mind was not free of Islamic law and that he even comprehended it. He reassured of the route he has followed, and perhaps found his long-pursued aim in embracing Islam when he made the Holy Koran as his impregnable fence to protect his ideas and thoughts from deviation.

The poet's respect to his family fell down, thus, he mentioned no one of them but (Moses) in his divan who annulled the Jewish law and loved (Mohammad), in addition, Moses didn't stand against his embracing Islamic belief, and he was perhaps a symbol of Devine love.

The poet endured the responsibility of all details and particles of life. He called for love and altruism, cohesion, sublimation and abandoning wrong acts. In that he was rushing from the pure values of his humanitarian community, and keeping away from any life destroying agents in the society.

His divan involved all aspects of Islamic meaning, and it was the starting point for Islamic beliefs and faiths.

The poet understood the Koran text itself and applied it with a mental conviction, hence, his thoughts were widened and his culture was diverged and the power of his religious belief could affect the poet, therefore, we observe that his divan was free of philosophic thoughts and attitudes that were marketable at that time in the east.

The poet adhered to make his poetry possessing Islamic front and Koranic meaning and indication. He linked them with the Islamic intellectual ideas in different branches. The method he applied in his divan was an original Islamic one, that was not influenced by other poets and based on true Islamic piling.

The poet started from his objectives and expectations to deificate Koranic verses and prophetic sayings. However, after embracing Islam, leaving Jewish religion, and sticking to the Holy Koran and prophet's method, there would be no doubt about his sincerity and loyalty to Islam. We found that the poet's poetry was deeply affected by Islamic culture, and that his verses didn't represent the crisis of religion change, on the contrary, his poetry showed him as a natural instinct Moslem man.